



شرح

كتاب التوحيد

لصاحب الفضيلة الشيخ:

د. عبد المحسن محمد الفهمي

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يقوم عليها مجموعة من طلاب الشيخ

قناة التيليجرام

فوائد علمية للاشتراك اضغط هنا

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :**﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾**

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ : «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ : هَذَا مَالِي ، وَرَثَتُهُ عَنْ آبَائِي» .

وَقَالَ عُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : «يَقُولُونَ : لَوْلَا فَلَانٌ ؛ لَمْ يَكُنْ كَذَا» .

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : «يَقُولُونَ : هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا» .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ - بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي فِيهِ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : أَصْبَحَ

مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ . . .» الْحَدِيثِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ - : «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، يَذُمُّ

سُبْحَانَهُ مِنْ يُضَيِّفُ إِعْنَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ . قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : هُوَ كَقَوْلِهِمْ : كَانَتْ الرِّيحُ

طَيِّبَةً ، وَالْمَلَّاحُ حَادِقًا» .

وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ .

الشرح¹:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ

يَنْكُرُونَهَا﴾)

ساق المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد لبيان وجوب نسبة النعم إلى الله ، وأن نسبته

إلى غير الله من الشرك الخفي ، فتأديباً لجناب الربوبية تُنسب النعم إلى الله عز وجل ؛ لأن المخلوق

سبب فيها بتسبيب الله عز وجل له .

والمصنف رحمه الله ذكر في هذا الباب أربعة نصوص :

النص الأول : لبيان تحريم نسبة النعم إلى الآباء ، (هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ : هَذَا مَالِي ، وَرَثَتُهُ عَنْ آبَائِي) .

النص الثاني : تحريم نسبة النعم إلى الأشخاص غير الآباء ، (لَوْلَا فَلَانٌ ؛ لَمْ يَكُنْ كَذَا) .

النص الثالث : لبيان تحريم نسبة النعم إلى المعبودات من دون الله ، (يَقُولُونَ : هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا)

النص الرابع : وقول شيخ الإسلام رحمه الله لبيان تحريم نسبة النعم إلى المخلوقات لغير الآلهة ، فهو

أعم يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غير الله .

فقوله رحمه الله : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَعْرِفُونَ﴾) أي : الكفار من قريش وغيرهم ،

(﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾) النعمة المفردة إذا أضيفت فالمراد بها العموم ، أي : يعرفون نعم الله ، كما قال

سبحانه : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] ، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ (مشاهدتهم لها ، أو لسماعهم عنها ، أو لاستمتاعهم بها بالجلوس ونحو ذلك ، ﴿ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾) بنسبتها إلى غير الله سبحانه وتعالى ، وعدم شكرهم له جل وعلا .

ثم قال المصنف رحمه الله : (قَالَ مُجَاهِدٌ) أي : في معنى الآية التي بوب عليها المصنف ، (مَا مَعْنَاهُ) أي : أنه ذكر قول مجاهد بالمعنى ؛ لأن قول مجاهد فيه طول فذكر خلاصته ، فنص قول مجاهد :
أباؤنا وراثونا إياه ، بعد أن ذكر النعم من المساكن والأنعام (هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ : هَذَا مَالِي ، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي) ورثته عن آبائي . نسبة المال إلى الشخص ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : إذا كان خبراً مثل لو قال شخص : من أين لك هذا المال - يعني : هل أنت سرقته؟ أم هبة أم إرث -؟ فتقول : هذا مالي ورثته من آبائي ، فهذا لا محذور فيه .

القسم الثاني : أن ينسب هذا الفضل الذي هو فيه من المال ونحوه من المساكن إلى الآباء ، وهذا من ألفاظ الشرك الخفي ، قال سبحانه : ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ، فالله عز وجل هو الذي سخر آباءك لجمع المال وهو الذي سخر آباءك لأن يحفظوا المال حتى ترثه منهم فهم مخلوقون ، فيجب على المسلم أن يقول : هذا المال من الله ، ولا بأس بل يشرع أيضاً شكر - مثلاً - الوالدين على هذا المال مثل : وجزاه الله خيراً والدي ، تعب في جمع هذا المال ونحو ذلك حتى وصل إلينا بفضل الله . ثم بعد ذلك قال : (وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : «يَقُولُونَ : لَوْلَا فَلَانٌ ؛ لَمْ يَكُنْ كَذَا») وهذه اللفظة لا تجوز ، وإنما ينسب لله ، مثل لو قال شخص : لولا مدير المدرسة لم أدخل في المدرسة ، هذا لا يجوز وإنما يُقال : لولا الله لم أدخل هذه المدرسة ، أو لولا الله ثم إعانة هذا المدير لم أدخل المدرسة ، أما يُنسى الرب في ذكر هذه النعم فهذا الذي لا يجوز .

ثم ذكر بعد ذلك إذا نسبت النعم إلى المعبودات من دون الله فقال : (وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : «يَقُولُونَ : هَذَا) أي : المال ، أو ما حصلناه من الدنيا ، (بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا») أي : لما دعوناها من دون الله -والعياذ بالله - ، وهذا شرك أكبر .

ثم بعد ذلك ذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما في حديث زيد بن خالد إلى أن قال : («وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) أي : أن البشر لا يسندون النعمة إلى الله ، كما قال سبحانه : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكذِبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] ، (يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِعْنَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ) فتأدباً مع الله عز

وجل ، وشكراً للنعمة تُنسب لله ، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤] . ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢] .

ثم بعد ذلك ذكر شيخ الإسلام رحمه الله مثالا على ذلك فقال : (قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : هُوَ كَقَوْلِهِمْ : كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً) ومثل قول بعض الناس إذا كان في سفر : نوع السيارة جيد فوصلنا سريعا ، أو : لم نتعب ، ولم ينسب ذلك لله ، (وَالْمَلَّاحُ حَادِقًا) الملاح : هو قائد السفينة ، نسبة إلى الملح الذي في البحر . (حَادِقًا) يعني : جيدا ، وكذلك مثله لو قال شخص : أوشكنا على حادث لكن قائد السيارة جيد ، فهذا من ألفاظ الشرك الخفي ، وكذلك : قائد الطائرة جيد فلم نسقط ، فكل هذا لا يجوز ، وإنما تنسب هذه النعم لله سبحانه وتعالى .